آخر الباقين من حرس هتلر الشخصي برودي ذكرياته عن موت الفوهرر وسقوط النازية

بقلم / نيكولا بورسييه
ترجمة / زينب محمد

كان الاخير ، بل آخر من بقي من حرس الفوهرر(ادولف هتلر) وآخر جندي الماني غادر مقر المستشارية في الثاني من آيار عام ١٩٤٥ اليوم الذي استولى فيه الجيش الاحمر على عاصمة الرايخ الثالث المدمرة، انه الرجل الذي شاهد جثتي الفوهرر وزوجته ايفابرون وكان في الشرطة العسكرية النازية في عامه السابع والعشرين والذي تحدث اليه وزير الدعاية ٠جوزيف جويبلس) قبل انتحاره بخمس دقائق . ان ما يثير انتباهك اليه اولاً، قوته ، فـ(روشوس ميتش) طويل ، عريض الكتفين، منتصب القامة رغم بلوغه السابعة والثمانين ثم قبضة يده الحاسمة، والقلقة بعض الشيء، ثم هذه النظرة الثاقبة ايضاً، كان يقف امام داره الصغير في ريدو- الحي السكني في برلين وتساءل لماذا اتيتم؟ ومن دون انتظار الجواب جلس في الصالة، كان التلفزيون مغلقاً، وكان الجو مظلماً وعلى الجدار علقت صورة زوجته (جيردا) التي توفيت قبل خمسة اعوام، كانت باقات ورد هنا وهناك واشرطة بابا نوئيل المزخرفة تملأ المكان، وكان (روشوس ميتش) يرتدي صدرية رمادية اللون مزررة حتى النصف بهيئة المتقاعد. "مع ظهور فيلم (السقوط) لم يتوقف الصحفيون" يبدو ان هذا الرجل المسن يقرأ مفكرته ويقلب صفحاتها باضطراب، فبالأمس كانت اذاعة الـ(بي، بي، سي) وغداً التلفزيون الالماني العام، كان يبدو وكأنه يتذوق طعم اللحظة ويستفيد من هذه الشهرة المتأخرة بعد ان اعتاد على كتابة هوامش على اسفل الصفحات في أعمال خاصة.. قال: "ان هذا الفيلم دراما غنائية" وكل شيء فيه مبالغ فالمقر لا يشبه هذا الذي في الفيلم، ولم يكن فيه كل هؤلاء الناس، وكل هؤلاء القادة، ثم اننا لم نكن نشرب الشامبانيا في الزنزانات الخرسانية الصغيرة هذه ! في (داي كاتكومب) الصادر من مطابع رورور عام ١٩٧٥ وهو احد المراجع الأساسية التي تتناول الساعات الأخيرة من عمر النازيةن يعتبر المؤرخان والصحفيان أوباهتسن وجيمس ب.اودوغيل ات ميتش هو احد أهم الشهود العيان من بين الناس القلائل الذين كانوا يحيطون بـ(هتلر) واحد الشهود الاساسيين على المقر، واحد الباقين الذي قدمته وسائل اعلام بلده على انه شاهد خاص ومواطن عادي في الوقت ذاته، كان هذا الشاهد يريد ان يروي مارآه، النازي، السنوات الاربع الأخيرة من عمر النظام الى جانب هتلر ليل نهار وكيف وجد نفسه هو الشاب الى جانب عشرين جندي آخرين فقط مسؤولاً عن حماية الفوهرر طوال الحرب فتح صندوقاً للاحذية واخرج صوراً بالاسود والابيض عن الديكتاتور، مقربيه وكلبه، وتوقف (روشوس ميتش) عند احدى الصور الملونة وقال: هوذا يجلس على احد الحواجز في السفينة انه شاب يرتدي الزي الرسمي الرمادي الغامق، وعلى رقبته شارة الرعب الـ(SSالمضاعفة المتأتية من كلمة (Sehutz staffel)أي البوليس العسكري النازي، ولد (روشوس ميتش) في خضم الحرب عام ١٩١٧ وكان والده جندياً وتوفي قبل ساعات من ولادة هذا الابن الثاني، اما امه فقد توفيت بعد عامين ورعاه جداه، درس الرسم بعد الكلية وأكد انه لم يكن يعنيه وصول (ادولف هتلر) الى السلطة بشيء في عام ١٩٣٣، وإذا ما صدقناه، فان السياسة لم تكن تهمه ويقول: لم اكن قومياً اشتراكياً، ولم اكن من الشباب الهتلري اطلاقاً، وبرأيه فان الصدمة الأولى وقعت في عام ١٩٣٦ خلال الالعاب الاولمبية في برلين عندما جاء روشوس الشاب لمشاهدة الالعاب واتخذ مكانه في الصف الأول الى الخارج امام مدخل الملعب، هناك رأى الفوهرر، أول مرة فبهرته سطوته ونفوذه مثل الكثير من المواطنين ، هذه السلطة التي وصفها المؤرخ البريطاني (ايان كيرشو) ادق وصف، ويذكر (روشوس ميتش) ان الحشود كانت تتدافع، تبتعد وتصرخ، وظل هتلر واقفاً، محاطاً بحرسه، فقلت في نفسي لابد ان يكون هؤلاء الجنود الذين يرتدون اللباس الأسود اناساً سعداء. كان ذلك المشهد عنيفاً جداً وكنت المانياً بسيطاً، ووحيداً، وكنت قادماً من القرية وامامي كل هذا المرح والعرض.. مرة واحدة! يالها من فنتازيا! وفي العالم التالي دعي للخدمة العسكرية، ولانه كان قوياً ونشيطاً فقد عرضوا عليه الدخول في الوحدة ((Verfugungstruppe وهي الوحدة المكلفة بالامن مع إمكانية ان ينال بعد ذلك منصباً في الخدمة الحكومية . "كنت يتيماً، وتمنيت ان اصبح موظفاً.. وفي شهر تشرين الأول اوكتوبر، دخل في القوات الخاصة التي تندمج في وحدات الـ (. (SSوفي عام ١٩٤٩ ، هاجم الجيش الألماني بولونيا، وجرح الجندي ميتش في اثناء المعركة، وعندما كان يستعيد عافيته، كانت هناك حاجة في برلين الى حرس شخصي، مخابر وساع لخدمات هتلر.. ولانه كان جاداً والاخير في العائلة، وذلك يعني انه يحب ان لايعود الى الجبهة، فقد حصل على توصية خاصة من رئيس مجموعته، وفي نيسان عام ١٩٤٠ التحق بحرس هتلر الشخصي واقام في شقق القنصلية في برلين وشاهد غرفته ومكتب المساعد الذي كان عليه ان يحمل اليه الصحف والرسائل والبرقيات وكان عليه الالتزام ببعض التوصيات ايضاً حول الطريقة التي كان عليه ان يتصرف فيها في العرين النازي: وهي عدم السير بالحذاء الجلدي الطويل على السجاد، وان يقف جانباً ولا يتحرك اطلاقاً اذا مرّ من امام الفوهرر. هل تلقى تأهيلاً بذلك؟ "لا شيء، كانوا يقولون لنا فقط انه عندما يتنقل الفوهرر، علينا ان ننتبه وان نكون قساة جداً مع الناس الذين كانوا يريدون الاقتراب منه ولم يكن يحب ذلك . ولم يكد يمضي اسبوعان حتى كان امام هتلر وجهاً لوجه، وسلمه هتلر رسالة الى شقيقته، كما يقول روشوس ميتش، كانت شقيقة الفوهرر تعيش في فيينا.. اخذ ميتش القطار صوب العاصمة النمساوية، وارتقى الطوابق الاربعة لمنزل تقليدي، ودق جرس الباب، كانت (يولا) مرحبة، وقدمت له الشاي وسألته عن اخبار شقيقها "يقول ميتش: بقيت عند شقيقة الفوهرر نصف ساعة، ولم يكن لدي من اخبار مهمة اقولها" . ومرت الاعوام وازدادت الاخبار السيئة بالنسبة للالمان، وتفتت الجبهة وطالت ساعات العمل، وهي تتبع وتيرة قصف الحلفاء الذين صاروا يزدادون وكان الفوهرر ينام بين الرابعة والعاشرة صباحاً وبتفصيل تحدث ميتشن عن ذكريات صغيرة وقال انه تسلم اربعين زجاجة من الفوهرر هدية زواجه من جيردا. وماذا رأى بعد ؟ وماذا تعلم من اشياء مهمة خلال السنوات الاربع في الخدمة؟ الم يتولد لديه اطلاقاً الانطباع بانه يعيش الى جانب جلاد ومجرم خارج عن المألوف مسؤول عن ملايين الضحايا وملايين من المنفيين والمعتقلين وعن معسكرات الابادة؟ "قمت بعملي بشكل صحيح، ونقلت البرقيات والاتصالات كما كان يجب كنت اؤدي واجبي كجندي، من دون التفكير بذلك.. وهذا كل شيء". وماذا بعد ؟ لم يكن هتلر غير قائدي ، كان رجلاً كالآخرين، ولم يكن رجلاً فائقاً، وماذا بشأن المعسكرات ؟ " لم يكن يجري الحديث عنها كنا نعرف انها كانت موجودة، لكن ماكان يجري بها لم يكن موضوعاً للنقاش اطلاقاً". وذات مرة نقلت برقية في عام ١٩٤٢ أو عام ١٩٤٣ تشير الى وجود محققين للجنة دولية، كان عليهم بعد زيارة احد تلك المعسكرات وتقديم تقرير الى الدبلوماسي السويدي فولك بيرنادت". ومع مجيء عام ١٩٤٥ اقتربت نهاية الرايخ الثالث، ومن منتصف ايار بدأ هتلر، وموالوه وسكرتيروه وحرسه البريتوري ينزوون في حصن تحت الأرض حيث كان الجو كئيباً، وكان ميتش يهتم بالاتصالات الهاتفية . وفي الثاني والعشرين من نيسان أي بعد يومين من عيد ميلاده كانت النهاية تبدو على وجهه "خرج من المكتب وهو يعلن بشكل فظ بانه خسر الحرب" وفي التاسع والعشرين طبعت ترودي جونج -سكرتيرته في الغرفة التي يعمل فيها ميتش، طبعت وصيته السياسية : "في مثل هذه اللحظات، ينهار كل شيء، وتتوقف الحياة.. ونسخر من كل شيْ" يقول روشوس ميتش أنه مر بالفوهرر آخر مرة في الثلاثين من نيسان، قبل انتحاره بقليل، كان الوقت في حوالي الحادية عشرة، مرّ من امامي ، وتوقف، القى عليّ نظرة قبل ان يدور نصف دورة ويختفي" واستأنف المخابر الشاب عمله ..وفي الممر، على بعد ٥ أو ٦ امتار التقط عبارة لهتلر وهو يخطب في مجموعة من الرجال بينهم جويبليس "ولكي لا يحصل ما حصل لموسوليني، الذي وجد معلقاً ومرجوماً بالحجارة في الثامن والعشرين من نيسان- اتخذوا كل الاجراءات ليتم حرقي بعد موتي". لم يسمع ميتش صوت الاطلاقة، لكن احدهم صرخ في الممر.. لانج .. لانج.. لقد انتهى!.. كان هانز لانج الخادم الخاص للفوهرر مرّ لانج امامي قبل ان يمضي امام باب هتلر .. هيمن صمت الموت، انتظرنا نصف ساعة قبل ان يفتح احدهم الباب، دنوت ووجدت هتلر جالساً، منحنياً على الاريكه، لا اذكر أكثر.. اما ايفا برون فكانت متكورة وهي قائلة الى جانب الفوهرر". لف الجسدان باغطية رمادية كانت تغلف الاحذية.. وقال له احد افراد وحدته: ميتش يجب انه تصعد فسوف يحرق جسد الرئيس، فرفضت، كنت خائفاً، كما يقول، هل كان مرتاحاً لموت الديكتاتور ؟ يقول ميتش لا.. كنت اتوقعه.. وتحدث عن الكيفية التي البست بها. (ماجدا جويبلس) زوجة الوزير اطفالها الستة قبل تسميمهم، وسقط معاً مع جوزيف جوبليس، الذي قال له قبل الانتحار هو الآخر بدوره:- لقد تعلمنا ان نحيا، وسوف نعرف جيداً كيف نموت.. يمكنك الان ان تستعد لقد انتهى الامر". وبعد نوم طويل بسبب التعب، غادر روشوس ميتش المقر في اليوم التالي (الثاني من ايار) ومر من امام قبو وممرات الميترو، واجتاز عازفي غيتار كانا يعزفان موسيقى الهاواي ويستذكر ميتش ضاحكاً ان القوات السوفيتية القت القبض عليه في محطة ستيتنر باهنهوف، وجرته ال موسكو، الى سجن لوبيانكا واستجوب وضرب!! كانوا يريدون ان يعرفوا كل شيء ، كل شيء.. كانوا مقتنعين بان هتلر كان له شبيه! ذلك غير معقول". وبعد ان امضى تسعة اعوام في سجون كازاخستان وصربيا، عاد الى برلين عام ١٩٥٤ في بيته في حي ريدو، واشترى شركة أصباغ الحرب، وأصبحت زوجته جيردا مديرة في احدى المدارس وانخرطت في الحزب الديمقراطي الاشتراكي (اليساري) متبعة خطى والدها ثم اختيرت كمستشارة في البلدية. اما ترودي جونج، السكرتيرة التي كتبت الوصية السياسية للفوهرر فقد توفيت في عام ٢٠٠٢، واعلنت في احد أفلام اندريه هيلر الوثائقية التي اشارت اليها صحيفة (تاجيشبيغل) اليومية بان هتلر كان " (مجرماً حقيقياً) لكنها لم تكن تلاحظ ذلك مثل ملايين الناس" . اما ميتشن فكان في وسط جميع المعلومات التي تصل الى رأس الدولة النازية، لكنه الآخر لم يشر شيئاً أو لم يكن يريد ان يرى شيئاً .. واليوم لم يعد مهماً الاعتراف بان هتلر قاتل .. لكن ميتش يقول: يستحيل الموافقة على اية تهمة.. لقد كان قائدي.. كان مهتماً بي ولطيفاً معي وكنت اؤدي عملي من دون ان اجرح احداً، لم اعتذر اطلاقاً ليس ذلك من النزاهة، لقد تابعت واعتقد انني دفعت ثمن ذلك تسع سنوات من السجن. واليوم فان روشوس ميتشن يحرث حديقة ذاكرته بمفرده ويهتم بابعاد الأفكار السيئة عنها وماذا عن ابنته ؟ يعترف بانها سجلت ابناءها في مدرسة يهودية في فرانكفورت ولم تعد تريد رؤيته.

عن/ لوفيغارو

الإرهاب في العراق .. الإشكاليات والآفاق (٤-٥)

الإرهاب وإشكالية الحرية في العراق

ميثم الجنابي

إن المفارقة التاريخية لمحاولة العراق استعادة كينونته بوصفه دولة حضارية هو اقتران مساعيه الصعبة لترسيخ قيم الحرية بترسخ قيم الإرهاب.

وهي ظاهرة لها جذورها الأساسية في طبيعة ومستوى انحراف الدولة في غضون العقود الخمسة الأخيرة عن مسارها الطبيعي. بمعنى خضوع فكرة الدولة إلى السلطة والأخيرة إلى بنية اقل رقيا من حيث قدرتها عل تنظيم وإدارة شئون المجتمع. وهي مفارقة تعارض ابسط مقومات المنطق القائل، بان الكل اكبر من الجزء. بينما تحول العراق، وبالأخص في غضون العقود الأربعة الأخيرة إلى نموذج لدحض هذه القاعدة الضرورية لمنطق وجود الأشياء! طبعا إن الإرهاب ليس "منطقا" إلا انه يمتلك منطقه الخاص، الذي حصل في المنطق أيضا على تسمية المغالطات. لكنها مغالطات من نوع خاص، التي يبرهن التاريخ العالمي وتاريخ العراق الحديث والمعاصر على خطورتها بالنسبة للدولة والمجتمع والثقافة والوجود الإنساني كما هو. فمجريات الأمور في العراق بما في ذلك استفحال ظاهرة الإرهاب تشير إلى أن الابتعاد عن المنطق هو سقوط في مغالطات لا تحصى لعل الإرهاب المنظم هو أحد أشكالها الأكثر تخريبا وتدميرا، بما في ذلك لمن يقوم به تحت أي شعار كان وغاية معلنة أو مستترة. فالإرهاب من حيث هو ظاهرة اجتماعية سياسية وأيديولوجية وثيق الارتباط بخلل الدولة والمجتمع وقواه السياسية مع ما يلازم ذلك بالضرورة من استفحال قيم التطرف والغلو. ولعل تجربة العراق الحالية والمخاض الذي يمر به الآن هو أحد النماذج "الكلاسيكية" لظهور الإرهاب الذي يجمع في ذاته حالة الخلل المميزة للمجتمع والدولة والأيديولوجية. وهي حالة لها تاريخها الخاص في زمن التوتاليتارية البعثية والدكتاتورية الصدامية التي جسدت في ممارستها مختلف أصناف الإرهاب الشامل تحت شعارات لا تتمتع بأية رؤية واقعية وتاريخية. وهي ممارسة كانت تنتج بصورة دائمة مرضا بنيويا جعل من الإرهاب المنظم للسلطة الأسلوب الوحيد لاستمرارها. وهو مرض بنيوي أنتج بدوره ضعفا لازم وجودها حتى انهيارها المريع في نيسان ٢٠٠٣، بهذا المعنى يمكن النظر إلى مظاهر الإرهاب المنفلت في الوقت الحالي على انه جزء من تقاليد الإرهاب السياسي الذي لف العراق في غضون العقود الأربعة الماضية. بعبارة أخرى، إن ما جرى ويجري من انفلات إرهابي هو التعبير النموذجي عما يمكن دعوته بالاستظهار السياسي العابر للأمراض المزمنة الموروثة من بقايا التوتاليتارية والدكتاتورية وتقاليد الاستبداد. وهو واقع يفترض النظر إلى ما يجري من إرهاب على انه ظاهرة جديدة في تاريخ العراق السياسي المعاصر لا ينبغي البحث عن جذورها في "القوى الأجنبية" أيا كانت. ومع أنها قوى "تشترك" من حيث وجودها السياسي وصراعها "العالمي" في أحداث العراق الجارية، إلا أنها لا تحدد مضمون ومسار الصراع فيه. وذلك لأن جوهر الصراع القائم في العراق اليوم يقوم بين ممثلي تقاليد الاستبداد والدكتاتورية والتوتاليتارية من جهة، وقوى الديمقراطية والدولة الشرعية والمجتمع المدني من جهة أخرى. وإذا كانت القوى الصدامية التي كانت تمثل تاريخ الاستبداد والدكتاتورية والتوتاليتارية قد تعرضت إلى هزيمة سياسية ساحقة، فإن رصيدها الأيديولوجي والاجتماعي مازال يتمتع بقوة نسبية في العراق. وهو رصيد له موارده القوية على الصعيد المحلي والعربي والإسلامي المتمثل بالقوى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية التي ارتبطت به سياسيا وتاريخيا طوال وجوده في سدة الحكم. وهي قوى يمكن أن نطلق عليها عموما تسمية الغلاة الجدد. وهي قوى تحاول استلهام فكرة المقدس المزيفة من اجل تحويلها إلى غطاء سياسي لاستعادة بنية الاستبداد والدكتاتورية والتوتاليتارية المنحلة. وفي هذا يكمن أحد المصادر الذي يجعلها لفترة طويلة نسبيا نتاجاً مرا لمزاوجة التوتاليتارية الدنيوية (البعثية) والدينية (الأصولية). وهي مزاوجة لا يمكنها أن تصنع توليفة معقولة بمنطق التاريخ والسياسة والثقافة. من هنا طابعها التخريبي وسيادة اللاعقلانية فيها. وليس غريبا لهذا السبب أن نرى الطابع المشوه في محاولاتها استعادة تقاليد المدارس الحنبلية الضيقة والوهابية بشكل خاص بعد ممازجتها بأفكار ونفسية الدكتاتورية الصدامية. وهي ممازجة يمكن فهم مقدماتها في ظروف العراق الحالية، التي شكلت الدكتاتورية البعثية نموذجها السياسي والاقتصادي والجهوي والطائفي. مما يضع هذه الحركة من حيث النية والغاية في تعارض تام ومطلق مع حقيقة التراث الإسلامي، الذي يبرهن على أن الإسلام في مجمل تاريخه الفكري والعملي هو تمثيل وتمثل لحقيقة العدل والاعتدال (الوسط). وهي فكرة جوهرية ابتداء من التوحيد وانتهاء بفكرة الأمة والجماعة. وكل مرجعياته المادية والروحية تعارض الإرهاب. وهي ظاهرة سوف تقع مع مرور الزمن في تعارض وتناقض متزايد مع التيار الديني (الإسلامي) والدنيوي (العلماني) الآخذ في النمو في العراق. فمن جهة ليس هناك من صلة جوهرية بين مختلف "جيوش الإسلام" الإرهابية المعاصرة في العراق بظاهرة المركزية الإسلامية العالمية المعاصرة، بوصفها العملية المعبرة عن الحقيقة القائلة، بان كل خطوة سياسية صحيحة تخطوها الأمم إلى الأمام سوف تؤدي بها بالضرورة إلى إدراك قيمة المرجعيات الثقافية الخاصة. والإسلام مرجعية روحية جوهرية بالنسبة للشعوب الإسلامية. حقيقة أن هذه المرجعية لم تتجسد بعد في أيديولوجيات سياسية متكاملة. ومن ثم لم تتحول بعد إلى جزء عضوي في الوعي الاجتماعي والسياسي. مما يجعل منها في الأفق القريب والبعيد، بما في ذلك في العراق جزءا من احتمالات متنوعة بوصفها النتيجة الطبيعية لضعف المكونات الثقافية للظاهرة الإسلامية نفسها في كل من العقائد والأفكار السياسية وتقاليدها العملية. إلا أنها ظاهرة سوف تجذر أهمية وقيمة الحقيقة القائلة بان إشكالية الإسلام والسياسة هي أولاً وقبل كل شيء إشكالية الرؤية الأوربية، التي انعكست فيها حصيلة التصورات التاريخية السلبية المتراكمة في مجرى تجارب شعوب القارة عن علاقة الدين بالدنيا. بينما تفترض في ظروف العالم العربي والعراق خصوصا إعادة تأسيسها بالشكل الذي يجعلها قوة ثقافية وسياسية عبر تحقيق مشروع الدولة الشرعية والنظام السياسي الديمقراطي والمجتمع المدني والثقافة العقلانية الإنسانية البديلة. بينما لا مجال لالتقاء "جيوش الإسلام" الإرهابية في العراق مع مختلف نماذج الحركات السياسية الدنيوية بما في ذلك أشدها راديكالية. وذلك لان الظاهرة الأصولية في العراق المعاصرة تتسم بقدر هائل من الضيق العقائدي والتعصب الديني –المذهبي والانعزال الثقافي والاغتراب عن قيم الحضارة الإنسانية وتاريخها الموحد. مما يجعل من إمكانية التقائها بالتيار الدنيوي العراقي القومي والاشتراكي واللبرالي أمرا مستحيلا. وهو أمر سوف يؤدي بالضرورة إلى انعزالها السياسي الدائم وتضاؤل قاعدتها الاجتماعية، ومن ثم اندثارها السياسي بوصفه النتيجة الملازمة لتكامل الدولة العراقية والمجتمع المدني والنظام السياسي الديمقراطي. إن تحقيق هذه المهمة يتوقف من الناحية الزمنية والسياسية على مدى الإسراع في بناء أسس ومرتكزات الدولة الشرعية والنظام الديمقراطي والمجتمع المدني. فهو الثالوث القادر على حمل الوحدة الوطنية العراقية وعمرانه الشامل. والعمل في نفس الوقت على بناء أسس ما ادعوه بالإسلام الثقافي، أي الإسلام الذي تتحدد ماهيته بقيمة المرجعيات الثقافية العقلانية والإنسانية المتراكمة في تاريخه الكلي، وليس بمفاهيم وتصورات وأحكام فرقه المتنوعة والمختلفة. فهي العملية القادرة على تقديم بديل إيجابي وفعال يولف بين التيار الديني والدنيوي في العراق في مواجهة سبيكة التوتاليتارية الدينية والدنيوية للغلاة الجدد ووثنية إرهابهم "المقدس". ولعل الصيغة الأكثر استجابة لتوليف الرؤية العقلانية والوجدانية من جانب الحركة الدينية (الإسلامية) والدنيوية (العلمانية) في العراق الآن في مواجهة ما أسميته بسبيكة التوتاليتارية الدينية والدنيوية للغلاة الجدد ووثنية إرهابهم "المقدس" يقوم في جعل المقدس فكرة مجردة عن الابتذال. وليس هناك فكرة يمكنها أن ترتقي إلى مصاف المقدس في ظروف العراق الحالية والعقود القليلة القادمة أكثر من وحدة الدولة الشرعية والنظام الديمقراطي الاجتماعي والمجتمع المدني. فهي الفكرة التي يمكنها أن تعطي للمخاض العراقي المعاصر قيمته بالنسبة للواقع والمستقبل، بوصفه مخاض الحرية. وهو مخاض يشكل مضمون الصراع الفعلي الشامل ضد قوى الهامشية الاجتماعية والسياسية والثقافية ونموذجها السافر في الغلاة الجدد وإرهابهم الشامل. وهو صراع سوف ينتهي بالضرورة بهزيمة هذه القوى، لأنها قوى بلا تاريخ. أما "تاريخها" الوحيد في العراق فهو زمن أربعة عقود من التوتاليتارية والدكتاتورية. وهو زمن ميت لا يمكنه أن يصنع شيئا اقل أو أكثر همجية وتخريبا من هؤلاء الغلاة الجدد في ردود فعله المباشرة على عملية اندثاره الوشيك. وهو الأمر الذي يجعل هذه القوى بلا مستقبل. وفي هذا أيضا يكمن سر همجيتها التي يدفع العراق الآن ثمنها الكبير. إذ للحرية الفعلية ثمنها الباهظ! وهو ثمن في مقدرة العراق دفعه، لأنه شرط حياته المستقبلية الطبيعية!